



أكاديمية الدراسات
الإسلامية والإنسانية

تفسير آيات الأحكام

أحكام سورة الفاتحة وسورة البقرة

07-02-2022

المحاضرتين الأولى والثانية

أستاذ المادة: د. توفيق زبادي

تفسير آيات الأحكام

أحكام سورة الفاتحة



دكتور
توفيق علي زبيري

منهجية تناول تفسير آيات الأحكام



الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ
﴿٧﴾ [الفاتحة: ٧]



مقصد السورة وبنائها

تحقيق كمال العبودية لله عز وجل وحده
وبنيت على آثار أسماء الله الحسنى
الله، الرب، الرحمن، مالك



معاني الكلمات

- الحمد لله : الحمد هو الثناء بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل.
- قال القرطبي: الحمد في كلام العرب معناه: الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس، فهو - سبحانه - يستحق الحمد بأجمعه، والثناء المطلق. والحمد نقيض الذم. وهو أعم من الشكر، لأن الشكر يكون مقابل النعمة بخلاف الحمد، تقول: حمدت الرجل على شجاعته، وعلى علمه، وتقول: شكرته على إحسانه. والحمد يكون باللسان، وأما الشكر فيكون بالقلب، واللسان، والجوارح.
- لأن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على الممدوح بما أوله من الإحسان، وعلى هذا يكون الحمد أعم من الشكر.
- رب العالمين : الرب في اللغة: مصدر بمعنى التربية، وهي إصلاح شؤون الغير، ورعاية أمره.
- والرب: مشتق من التربية، فهو سبحانه وتعالى مدبر لخلقه ومربيهم، ويطلق الرب على معان وهي: (المالك، والمصلح، والمعبود، والسيد المطاع).
- العالمين : جمع عالم، والعالم: اسم جنس لا واحد له من لفظه كالرھط والأنام.

• وفي اشتقاق العالم قولان:

• أحدهما: أنه من العلم، وهو يقوي قول أهل اللغة.

• والثاني: أنه من العلامة، وهو يقوي قول أهل النظر.

• فكل ما في هذا الكون دالٌّ على وجود الصانع، المدبّر

• وقال بعض العلماء: كل صنف من أصناف الخلائق عالم، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم، والطير عالم، والنبات عالم، والجماد عالم. . الخ
فقل: رب العالمين ليشمل جميع هذه الأصناف من العوالم.

• وقال بعض العلماء: كل صنف من أصناف الخلائق عالم، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم، والطير عالم، والنبات عالم، والجماد عالم. . الخ
فقل: رب العالمين ليشمل جميع هذه الأصناف من العوالم.



- الرحمن { : المنعم بجلائل النعم، ومعنى {الرحيم} : المنعم بدقائقها.
- ولفظ {الرحمن} مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها
- قال الخطّابي: ف {الرحمن} ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمّت المؤمن والكافر.
- و {الرحيم} خاص للمؤمنين كما قال تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣].
- {يَوْمَ الدين} : يوم الجزاء والحساب، أي أنه سبحانه المتصرّف في يوم الدين، تصرّف المالك في ملكه، والدين في اللغة: الجزاء.
- {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} : نعبد: نذلّ ونخشع ونستكين، لأن العبودية معناها: الذلّة والاستعانة.
- قال الزمخشري: العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلّل.
- {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} : الاستعانة: طلب العون.



• {أَهْدِنَا}: فعل دعاء ومعناه: دلّنا على الصراط المستقيم، وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك.

• {الصراط المستقيم}: الصراط: الطريقُ.

• {المستقيم}: الذي لا عوج فيه ولا انحراف

• {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} قال ابن عباس: هم النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين، وانتزعوا ذلك من قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩].

• {المغضوب عَلَيْهِمْ}: هم اليهود لقوله تعالى فيهم: {وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ} [آل عمران: ١١٢].

• {الضالّين}: الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد، وطريق الحق، والانحراف عن النهج القويم

• والمراد بالضالين (النصارى) لقوله تعالى فيهم: {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧].

• آمين: كلمة دعاء وليست من القرآن الكريم إجماعاً



حكم الاستعاذة

- أمر الباري - جل وعلا - بالتعوذ عند قراءة القرآن: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: ٩٨].
- والأمر بالاستعاذة ليس للوجوب؛ وإنما هو للندب والاستحباب، وهي سنة عن الرسول، يبدأ بها القارئ كما يبدأ بالوضوء قبل الدخول في الصلاة.
- قال جعفر الصادق: «إنه لا بد قبل القراءة من التعوذ، وأما سائر الطاعات فإنه لا يتعوذ فيها، والحكمة فيه أن العبد قد ينجس لسانه بالكذب والغيبة، والنميمة، فأمر الله تعالى العبد بالتعوذ ليصير لسانه طاهراً، فيقرأ بلسان طاهر، كلاماً أنزل من رب طيب طاهر».



مواضع الاستعاذة وصيغتها

- تشرع الاستعاذة في مواضع كثيرة منها ما يلي:
- عند قراءة القرآن، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].
- عند حصول نزغ من الشيطان، ووسوسة للإنسان، قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٦].
- عند الغضب، فقد أخرج البخاري ومسلم عن سليمان بن صُرد -رضي الله عنه- قال: «استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إني لست بمجنون».



• عندما يرى الإنسان رؤيا يكرهها، فعن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه، فلينفث عن يساره ثلاثاً، ويتعوذ بالله من شرها، فإنها لن تضره».

• وفي رواية: «وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها...، فإنها لن تضره»

والسنة الإسرار بها قي الصلاة، وعدم الجهر، أما خارج الصلاة فلا مانع.



صيغتا الاستعاذة

• روى أبو داود بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ، ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا، «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ» (صحيح).

البسملة

- في افتتاح القرآن الكريم بهذه الآية إرشادٌ لنا أن نستفتح بها كلَّ أفعالنا وأقوالنا، وقد جاء في الحديث الشريف: «كلُّ أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أتر» أي ناقص.
- فإن قيل: لماذا نقول بسم الله، ولا نقول بالله؟
- فالجواب كما قال العلامة أبو السعود: هو التفريق بين اليمين واليمين يعني التبرك، فقول القائل: بالله يحتمل القسم ويحتمل التبرك. فذكر الاسم يدل على إرادة التبرك والاستعانة بذكره تعالى، ويقطع احتمال إرادة القسم.



فوائد البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

- منها التبرك بذكر اسم الله تعالى، والتعظيم لله عزَّ وجلَّ، وطرد للشيطان لأنه يهرب من ذكر اسم الله.
- وفيها إظهار لمخالفة المشركين، الذين يفتحون أمورهم بذكر الأصنام أو غيرها من المخلوقين الذين كانوا يعبدونهم.
- وفيها أمان للخائف ودلالة على انقطاع قائلها إلى الله تعالى.
- وفيها إقرار بالألوهية، واعتراف بالنعمة، واستعانة بالله تعالى.
- وفيها اسمان من أسمائه تعالى المخصوصة به وهما (الله) و (الرحمن).



الأحكام الشرعية



الحكم الأول: هل البسملة آية من القرآن؟

- أجمع العلماء بشأن البسملة على أمرين :
- الأول : أن البسملة الواردة في سورة النمل [٣٠] هي جزء من آية في قوله تعالى: { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }، ومن أنكرها؛ فقد أنكر جزءاً من القرآن.
- الثاني: على عدم ذكرها في بداية سورة التوبة، وهي السورة الوحيدة التي لم تبدأ بالبسملة. قال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب في صدر هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم؛ لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان. وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف، ولا أمان للمنافقين.



اختلف العلماء هل هي آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة أم لا؟

- الراجح أنها آية من القرآن وردت للفصل بين السور، وهذا ما أشار إليه حديث ابن عباس السابق (إنَّ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهِ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)).
- وقد اتفقت الأمة على أن جميع ما في المصحف من القرآن، فتكون البسمة آية مستقلة من القرآن كرّرت في هذه المواضع على حسب ما يكتب في أوائل الكتب على جهة التبرك باسم الله تعالى، وهذا ما تطمئن إليه النفس وترتاح، وهو القول الذي يجمع بين النصوص الواردة

الحكم الثاني: ما هو حكم قراءة البسملة في الصلاة؟

- قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: وقد اختلف العلماء هل البسملة، من الفاتحة أم لا؟ فیه عن أحمد روايتان، فأما من قال: إنها من الفاتحة، فإنه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة، وأما من لم يرها من الفاتحة فإنه يقول: قراءتها في الصلاة سنة، ما عدا مالكا رحمه الله فإنه لا يستحب قراءتها في الصلاة.
- واختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به، فنقل جماعة عن أحمد: أنه لا يسن الجهر بها، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، ومذهب الثوري، ومالك، وأبي حنيفة.
- وذهب الشافعي: إلى أن الجهر بها مسنون، وهو مروي عن معاوية، وعطاء، وطاووس.



الحكم الثالث: هل تجب قراءة الفاتحة في الصلاة؟

- أ - مذهب الجمهور (مالك والشافعي وأحمد) أن قراءة الفاتحة شرط لصحة الصلاة، فمن تركها مع القدرة عليها لم تصح صلاته.
- استدل الجمهور على وجوب قراءة الفاتحة بما يلي:
- أولاً: حديث عبادة بن الصامت وهو قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» .
- ثانياً: حديث أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج فهي خداج غير تمام» .
- ثالثاً: حديث أبي سعيد الخدري: «أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر» .
- قالوا: فهذه الآثار كلها تدل على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة، فإن قوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» يدل على نفي الصحة، وكذلك حديث أبي هريرة فهي خداج قالها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثلاثاً يدل على النقص والفساد، فوجب أن تكون قراءة الفاتحة شرطاً لصحة الصلاة.
- قال الإمام الفخر: «إنه عليه السلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة في الصلاة، فوجب أن يجب علينا ذلك لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]



الحكم الرابع: هل يقرأ المأموم خلف الإمام؟

اتفق العلماء على أن المأموم إذا أدرك الإمام راكعاً فإنه يحمل عنه القراءة، لإجماعهم على سقوط القراءة عنه بركوع الإمام.



• وأما إذا أدركه قائماً فهل يقرأ خلفه أم تكفيه قراءة الإمام؟
اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

أ - فذهب الشافعي وأحمد: إلى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام سواء كانت الصلاة سرّية أم جهريّة.

ب - وذهب مالك إلى أن الصلاة إذا كانت سرّية قرأ خلف الإمام، ولا يقرأ في الجهرية.

ج - وذهب أبو حنيفة: إلى أنه لا يقرأ خلف الإمام لا في السرية ولا في الجهرية.



ما حكم الجهر بالبسملة في الصلاة ؟

الراجح :

أن الجهر سنة، والإسرار سنة؛
لورود الروايات الصحيحة
بذلك.



حكمة التشريع

• قال العلامة القرطبي: «سميت الفاتحة (القرآن العظيم) لتضمنها جميع علومه، وذلك لأنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بأعانه تعالى، وعلى الابتغال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم، وكفاية أحوال الناكثين، وعلى بيان عاقبة الجاحدين، وهذه جملة المقاصد التي جاء بها القرآن العظيم».

يقول الشهيد الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ فِي رسالته القِيَّمة «مقدمة في التفسير» ما نصه:

«لا شك أن من تدبّر الفاتحة الكريمة - وكلّ مؤمن مطالب بتدبرها في تلاوته عامة، وفي صلاته خاصة - رأى من غزارة المعاني، وجمالها، وروعة التناسب، وجلاله، ما يأخذ بلبه، ويضيء جوانب قلبه. فهو يبتدئ ذاكراً تالياً متيمناً باسم الله الموصوف بالرحمة، التي تظهر آثار رحمته متجددة في كل شيء، مستشعراً أنّ أساس الصلة بينه وبين خالقه العظيم هو هذه الرحمة التي وسعت كل شيء. فإذا استشعر هذا المعنى، ووقر في نفسه انطلق لسانه بحمد هذا الإله (الرحمن الرحيم) وذكره الحمد بعظيم نعمه، وكريم فضله، وعظيم آلائه البادية في تربيته للعوالم جميعاً، فأجال بصيرته في هذا المحيط الذي لا ساحل له، ثمّ تذكر من جديد أنّ هذه النعم الجزيلة، والتربية الجليلة، ليست عن رغبة ولا رهبة، ولكنها عن تفضل ورحمة، فنطق لسانه مرة ثانية بالرحمن الرحيم، ولكن من كمال هذا الإله العظيم أن يقرن (الرحمن) ب (العدل) ويذكر بالحساب بعد الفضل، فهو مع رحمته السابغة المتجددة سيّدين عباده، ويحاسب يوم الدين {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار: ١٩].



فتربّيته لخلقه قائمة على الترغيب بالرحمة، والترهيب بالعدالة،
والحساب، وإذا كان الأمر كذلك، فقد أصبح العبد مكلفاً بتحري
الخير، والبحث عن وسائل النجاة، وهو في هذا أشد ما يكون حاجة
إلى من يهديه سواء السبيل، ويرشده إلى الصراط المستقيم، وليس أولى
به في ذلك من خالقه ومولاه، فليجأ إليه، وليعتمد عليه، وليخاطبه
بقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وليسأله الهداية من فضله إلى
الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم بمعرفة الحق واتباعه، غير
المغضوب عليهم بالسلب بعد العطاء، والنكوص بعد الاهتداء، وغير
الضالين التائهين، الذين يضلون عن الحق، أو يريدون الوصول إليه فلا
يوفقون للعثور عليه آمين.



أحكام سورة البقرة (١)



الاستهلال

قال ابن العربي المالكي - رحمه الله - إن هذه
السورة من أعظم سور القرآن؛ سمعت بعض
أشياخي يقول: فيها ألف أمر، وألف نهى،
وألف حكم، وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام
عبد الله بن عمر ثمانين سنين في تعلمها.



التّحريف بسورة البقرة

• وقت النزول:

• أول سورة نزلت بالمدينة المنورة بعد الهجرة بالاتفاق، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي أول ما نزل في المدينة في السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في الثانية، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزل فيها آخر آية على الراجح، وهي قوله تعالى ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقد عدت سورة البقرة السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور.



الغرض الأسفى من نزولها فى المدىنة

• تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح؛ سعياً لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل.

• ومقصدها الأساسى: (إعداد الأمة الإسلامية لحمل أمانة الخلافة فى الأرض)



موقف الشريعة من السحر



الآيات

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ أُشْرِبَهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٣]

معاني الكلمات

- {نَبَذَ} : النبذ: الطرح والإلقاء
- {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} : هذا مثل يضرب لمن استخفّ بالشيء وأعرض عنه جملة
- {تَتْلُوا} : وتتلو يعني: تُحدِّث، وتروي، وتتكلم به من التلاوة بمعنى القراءة.
- {الشياطين} : المتبادر من لفظ (الشياطين) أن المراد بهم مردة الجن
- {على مُلْكٍ سليمان} : أي على عهد مكله وفي زمانه
- {السحر} : في اللغة: كلّ ما لطف مأخذه ودقّ، قال الأزهري: وأصل السّحر صرفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره
- {فِتْنَةٌ} : الفتنة الاختبار والابتلاء
- {خلاق} : الخلاق في اللغة بمعنى النصيب
- {شَرَوْا} : أي باعوا أنفسهم به، يقال: شَرى بمعنى اشترى، وشَرى بمعنى باع من الأضداد
- {لَمْثُوبَةٌ} : المثوبة: الثواب والجزاء



التفسير الإجمالي

- ١٠١ - ولما جاءهم محمد - صلى الله عليه وسلم - رسولاً من عند الله وهو موافق لما في التوراة من صفته، أعرض فريق منهم عما دلت عليه، وطرحوها وراء ظهورهم غير مباليين بها، مشابهين حال الجاهل الذي لا ينتفع بما فيها من الحق والهدى، فلا يبالي بها.
- ١٠٢ - ولما تركوا دين الله اتبعوا بدلاً عنه ما تتقوله الشياطين كذباً على ملك نبي الله سليمان عليه السلام، حيث زعمت أنه ثبت ملكه بالسحر، وما كفر سليمان بتعاطي السحر - كما زعمت اليهود - ولكن الشياطين كفروا حيث كانوا يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملوك: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحاناً وابتلاء للناس، وما كان هذان الملكان يُعلمان أي أحد السحر حتى يحذراه ويبيّنا له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر، فمن لم يقبل نصحهما تعلّم منهما السحر، ومنه نوع يفرق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهما، وما يضر أولئك السحرة أي أحد إلا بإذن الله ومشيئته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علم أولئك اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ولُبّس ما باعوا به أنفسهم حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه، ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل المشين والضلال المبين.
- ١٠٣ - ولو أن اليهود آمنوا بالله حقاً، واتقوه بفعل طاعته وترك معصيته؛ لكان ثواب الله خيراً لهم مما هم عليه، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم.

أفانين السورة في بيان أحكامها

- استخدمت السورة القصة كوسيلة لبيان حكم السحر.
- ذكر المكان الذي انتشر فيها السحر وهي بابل : وهي مدينة شمال العراق.
- ذكر الفرائد القرآنية
- هاروت وماروت : ملكان أنزلا في بابل لتعليم الناس كيف يتقون شر السحر.



لمطائف التفسير



اللطيفة الأولى

تضمنت هذه الآيات الكريمة ما كان عليه اليهود من الخبث وفساد النية، والسعي للإضرار بعباد الله، فالسحر لم يُعرف إلا عند اليهود، فتاريخه مشتهر بظهورهم، فهم الذين نبذوا كتاب الله وسلكوا طريق السحر، وعملوا على إفساد عقول الناس وعقائدهم بطريق السحر، والشعوذة، والتضليل، وهذا يدل على أن اليهود أصل كل شر، ومصدر كل فتنة وقد صور القرآن الكريم نفسية اليهود بهذا التصوير الدقيق {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْهِدِينَ} [المائدة: ٦٤] .



اللطيفة الثانية

- قال أبو حيان: كما كانت الآيات السابقة فيها ما يتضمّن الوعيد في قوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٩٨] وقوله: {وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ} [البقرة: ٩٩] وذكر نبذ العهود من اليهود، ونبذ كتاب الله، واتباع الشاطين، وتعلم ما يضر ولا ينفع، أتبع ذلك بآية تتضمن الوعد الجميل لمن آمن واتقى.
- فجمعت هذه الآيات بين الوعيد والوعد، والترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير، وصار فيها استطراد من شيء إلى شيء، وإخبار بمغيّب بعد مغيّب، متناسقة تناسق اللآئ في عقودها، متضمنة اتضاح الدراري في مطالع صعودها، معلّمة صدق من أتى بها، وهو ما قرأ الكتب ولا دارس، ولا رحل، ولا عاشر الأخبار ولا مارس {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النجم: ٣ - ٤] صلى الله وسلّم عليه، وأوصل أزكى تحية إليه.

اللطيفة الثالثة

• قوله تعالى: {نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} التعبيرُ بالنَّبذ وراء الظهر، فيه زيادة تشنيع وتقبيح على اليهود، حيث تركوا العمل بكتاب الله، وأعرضوا عنه بالكلية، شأن المستخف بالشيء، المستهزئ به، وتمسكوا بأساطير من فنون السحر والشعوذة.

• يقول سيد قطب رحمه الله: «والذين أوتوا الكتاب هم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، والمقصود طبعاً أنهم جحدوه وتركوا العمل به، ولكن التعبير المصور ينقل المعنى من دائرة الذهن، إلى دائرة الحس، ويمثل عملهم بحركة مادية متخيلة، تصور هذا التصرف تصويراً بشعاً زرياً، ينضح بالكنود والجحود، ويتسم بالغلظة والحماسة، ويفيض بسوء الأدب والقحة، ويدع الخيال يتملى هذه الحركة العنيفة، حركة الأيدي تنبذ كتاب الله وراء الظهر» .

اللطيفة الرابعة

• وجه المقارنة بين ذكر {الشياطين} و {السحر} في الآية الكريمة، هو أن السحر فيه استعانة بأرواح خبيثة شريرة من الجن، والشياطين تزعم أنها تعلم الغيب وتوهم الناس بذلك، وقد كان بعض الناس يصدقونهم فيما يزعمون، ويلجأون إليهم عند الكرب كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: ٦] ولهذا اشتهر السحر عن طريق الاتصال بهذه الأرواح الخبيثة.

• أخرج ابن جرير والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فإذا سمع أحدهم بكلمة، كذب عليها ألف كذبة، فأشربتها قلوب الناس واتخذوها دواوين، فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود «فأخذها وقذفها تحت الكرسي، فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لأحدٍ مثل كنزه الممنع؟ قالوا: نعم فأخرجوه فإذا هو سحر، ففتناسختها الأمم فأنزل الله تعالى عذر سليمان فيما قالوا من السحر» .

اللميفة الخامسة

• عبّر القرآن الكريم عن (السحر) ب (الكفر) في قوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} وسياق اللفظ يدل على أن المراد منه السحر أي: وما سحر سليمان وإنما عبّر عنه بالكفر تقبيحاً وتشنيعاً، كما قال تعالى فيمن ترك الحجّ مع القدرة عليه {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧] .

• وفي هذا التعبير تنفير للناس من السحر، ودلالة على أنه من الكبائر الموبقات، بل هو قرين الكفر والإشراك بالله، وقد دلّ عليه قوله تعالى: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ} .



اللميفة السادسة

- روي أن رجلاً تكلم بكلام بليغ عند (عمر بن عبد العزيز) فقال عمر: هذا والله السحر الحلال. وروي «أن (الزبرقان بن بدر) و (عمر بن الأهتم) و (قيس بن عاصم) قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: خبرني عن الزبرقان؟ فقال: مطاع في نأديه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: هو والله يعلم أني أفضل منه، فقال عمرو: إنه زمر المروعة، ضيق العطن، أحرق الأب، لئيم الخال. ثم قال: يا رسول الله، صدقت فيهما، أرضاني أحسن ما علمت، وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت، فقال عليه السلام: إن من البيان لسحراً» .
- وروي أن رجلين قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب أحدهما فعجب الناس من فصاحته وبلاغته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحراً» فإن قيل: كيف سمى عليه السلام روحه البيان سحراً مع أن السحر مذموم عقلاً ونقلاً؟ □
- فالجواب: أن هذا على (المجاز) لا على (الحقيقة) فالخطيب يستميل القلوب بحسن بيانه وروعة أدائه، وجمال تعبيره، كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين إليه بخفته ورشاقتة وتمويهه على الحاضرين، فمن هذا الوجه سمى البيان سحراً.



اللطيفة السابعة

- فإن قيل: كيف كان الملكان يعلمان الناس السحر مع أنه حرام، ومعتقده كافر؟
- فالجواب: أنهما ما كانا يعلمان الناس السحر للعمل به، وإنما للتخلص من ضرره، والاحتراز منه، لأن تعريف الشر للزجر عنه حسن وقد قيل:
- عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ ... لكن لتوقيه
- ومن لا يعرف الشرَّ ... من الناس يقع فيه
- وقد قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن فلاناً لا يعرف الشر، قال: أجد أن يقع فيه. والصحيح كما قال الألويسي: أن ذلك كان للابتلاء والتمييز بين (المعجزة) و (السحر) والله أعلم.



الأحكام الشرعية



الحكم الأول: هل للسحر حقيقة وتأثير في الواقع؟

- اختلف العلماء في أمر (السحر) هل له حقيقة أم هو شعوذة وتخيل؟
- فذهب جمهور العلماء: من أهل السنة والجماعة إلى أن السحر له حقيقة وتأثير.
- وذهب المعتزلة وبعض أهل السُّنَّة: إلى أن السحر ليس له حقيقة في الواقع وإنما هو خداع، وتمويه، وتضليل، وأنه باب من أبواب الشعوذة، وهو عندهم على ضروب.
- ضروب السحر
- أولاً: التخيل والخداع: وذلك كما يفعله بعض المشعوذين، حيث يريك أنه ذبح عصفوراً، ثم يريك العصفور بعد ذبحه قد طار، وذلك لخفة حركته، والمذبوح غير الذي طار لأنه يكون معه اثنان، قد خبأ أحدهما وهو المذبوح وأظهر الآخر. قالوا: وقد كان سحر سحرة فرعون من هذا النوع، فقد كانت العصي مجوفة، قد ملئت زئبقاً، وكذلك الحبال كانت من آدم (جلد) محشوة زئبقاً، وقد حضروا تحت المواضع أسراباً وملؤها ناراً، فلما طرحت عليها الحبال والعصي وحمى الزئبق تحركت، لأن من شأن الزئبق إذا أصابته الحرارة أن يتمدد، فتخيّل الناس أن هذه الحبال والعصي تتحرك وتسير.

- ثانياً: الكهانة والعرافة بطريق التواطؤ وذلك كما يفعله بعض العرّافين والكهّان حيث يוכלون أناساً بالاطلاع على أسرار الناس، حتى إذا جاء أصحابها أخبروهم بها، ويزعمون أنها من حديث الجنّ والشياطين لهم، وأنهم يتصلون بهم ويطيعونهم بواسطة الرقي، والعزائم، وأن الشياطين تخبرهم بالمغيبات فيصدقهم الناس، وما هي إلا مواطأة مع أشخاص قد أعدّوهم لذلك.
- قال الجصاص: كانت أكثر مخاريق الحلاج بالمواطأة، فكان يتفق مع جماعة فيضعون له خبزاً ولحماً وفاكهة في مواضع يعينها لهم، ثمّ يمشي مع أصحابه في البرية، ثم يأمر بحضر هذه المواضع، فيخرج ما خبئ من الخبز واللحم والفاكهة، فيعدّونها من الكرامات.
- ثالثاً: وضرب آخر من السحر عن طريق النميمة، والوشاية، والإفساد من وجوه خفية لطيفة، وذلك عام شائع في كثير من الناس. . وقد حكى أن امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين، فجاءت إلى الزوجة فقالت لها: إن زوجك معرض عنك، وهو يريد أن يتزوج عليك، وسأسحره لك حتى لا يرغب عنك، ولا يريد سواك، ولكن لا بد أن تأخذي من شعر حلقه بالموسى ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها حتى يتم سحره، فاغترت المرأة بقولها وصدقته، ثمّ ذهبت إلى الرجل وقالت له: إن امرأتك قد أحبّت رجلاً وقد عزمت على أن تذبحك بالموسى عند النوم لتتخلص منك، وقد أشفقت عليك ولزمني نصحك، فتيقظ لها هذه الليلة وتظاهر بالنوم فستعرف صدق كلامي، فلما جاء الليل تناوم الرجل في بيته فجاءت زوجته بالموسى لتحلق بعض شعرات من حلقه، ففتح الرجل عينه فرآها وقد أهوت بالموسى إلى حلقه، فلم يشك في أنها أرادت قتله فقام إليها فقتلها، فبلغ الخبر إلى أهلها فجاءوا فقتلوه، وهكذا كان الفساد بسبب الوشاية والنميمة.

- رابعاً: وضرب آخر من السحر وهو الاحتيال وذلك بإطعام الإنسان بعض الأدوية المؤثرة في العقل، أو إعطائه بعض الأغذية التي لها تأثير على الفكر والذكاء، كإطعامه (دماغ الحمار) الذي إذا أطعمه إنسان تلبّد عقله، وقلّت فطنته مع أدوية أخرى معروفة في كتب الطب، فإذا أكله الإنسان تصرّف تصرفاً غير سليم فيقول الناس: به مسّ أو أنه مسحور.
- فأنت ترى أنهم يرجعون السحر إمّا إلى تمويه وتخيل، وإمّا إلى مواطأة، وإمّا إلى سعي ونميمة، وإمّا إلى احتيال، ولا يرون الساحر يقدر على شيء ممّا يثبت له الآخرون من التأثير في الأجسام، ومن قطع المسافات البعيدة في الزمن اليسير.
- قال أبو بكر الجصاص: وحكمةٌ كافيةٌ تبين لك أن هذا كله مخاريق وحيل، لا حقيقة لما يدّعون لها أن الساحر والمعزّم لو قدرا على ما يدعيانه من النفع والضرر، وأمكنهما الطيران، والعلم بالغيوب، وأخبار البلدان النائية، والخبثات والسّرَق، والإضرار بالناس من غير الوجوه التي ذكرنا، لقدروا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز والغلبة على البلدان بقتل الملوك بحيث لا ينالهم مكروه، ولا ستغنوا عن الطلب لما في أيدي الناس.
- فإذا لم يكن كذلك، وكان المدّعون لذلك أسوأ الناس حالاً، وأكثرهم طمعاً واحتيالاً، وتوصلاً لأخذ دراهم الناس وأظهرهم فقراً وإملاقاً علمت أنهم لا يقدرّون على شيء من ذلك .»



السحر حقيقة وله تأثير على النفس

الراجع:

ذهب الجمهور من العلماء على أن السحر له حقيقة وله تأثير بعدة أدلة نوجزها فيما يلي:

- أ - قوله تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١٦٦] .
- ب - قوله تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} [البقرة: ١٠٢] .
- ج - قوله تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: ١٠٢] .
- د - قوله تعالى: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعَقَدِ} [الفلق: ٤] .

• فالآية الأولى دلّت على إثبات حقيقة السحر بدليل قوله تعالى: {وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١٦٦] والآية الثانية أثبتت أن السحر كان حقيقياً حيث أمكنهم بواسطته أن يفرّقوا بين الرجل وزوجه، وأن يوقعوا العداوة والبغضاء بين الزوجين فدلّت على أثره وحقيقته، والآية الثالثة أثبتت الضرر للسحر، ولكنّه متعلق بمشيئة الله، والآية الرابعة تدل على عظيم أثر السحر حتى أمرنا أن نتعوذ بالله من شرّ السحرة الذين ينفثون في العقد.

• هـ - واستدلوا بما روي «أن يهودياً سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاشتكى لذلك أياماً، فأتاه جبريل فقال: إنّ رجلاً من اليهود سحرَكَ، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا، فأرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستخرجها فحلّها، فقام كأنما نشط من عقال» .

السحر كفر والساحر كافر

الراجع أن السحر كفر ، وأن الساحر كافر . وهذا ما صرحت به الآية في أكثر من جملة :

- أ- نفت الآية الكفر عن سليمان النبي الملك : « وما كفر سليمان) وكذبت الشياطين اليهود الذين افتروا عليه ، بأنه كان يحكم الناس بالسحر . ونفي الآية الكفر عن سليمان من خلال نفي السحر عنه ، دليل على أن السحر كفر .
- ب- أثبتت الآية الكفر للشياطين السحرة : ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر . وسبق أن قلنا إن الجملة الفعلية : « يعلمون الناس السحر » في محل نصب حال . أي : الشياطين السحرة كفروا حالة كونهم يعلمون الناس السحر . ومعنى هذا أن السحر كفر ، وأن الساحر كافر .
- ج- عندما كان هاروت وماروت يعلمان الناس السحر ليحذروهم ، كانا ينهيانهم عن العمل به لأنه كفر : « وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر . لم يقولوا له : لا تعمل بالشحر ، إنها قالوا له : « فلا تكفر » . وهذا دليل آخر صريح على أن السحر كفر.



ما هي أنواع السحر في القرآن ؟

السحر في القرآن مذكوم ، وهو ليس نوعاً واحداً ، حيث ذكر القرآن نوعين من الشحر :

- الأول : سحر تخيل لا حقيقة له :
- وهو السحر الذي يقوم على التمثويه والتخيل والخداع ، وخفة اليد ، وسرعة الحركة ، والتأثير على أعصاب ومشاعر وعيون المشاهدين ، بحيث يوهمهم الساحر أنه يؤثر ويغير ، وما هو إلا خداع . ومن هنا النوع الوهمي التخيلي سحر سحرة فرعون أمام موسى الذي أخبر الله أن السحرة سحرُوا أعين الناس .
- قال تعالى : « قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن تكون نحن الملقين . قال ألقوا فلما ألقوا سحرُوا أعين الناس لم يغيروا بسخرهم واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١) الأشياء ،
- ولم يكن لسحرهم حقيقة ، إنهم موَّهوا على المشاهدين ، وسحرُوا أعينهم وخيلوا لهم ، واسترهبوهم ، وملؤوا قلوبهم رهبة وخوفاً ، وظن المشاهدون الخائفون [الأعراف : ١١٥-٦ . أن لسحر السحرة حقيقة . كان من إتقان الشجرة لسخرهم التخيلي أن خيل لموسى ال أنه حقيقة وما هو كذلك . قال تعالى : « قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سخرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه ، خيفة موسى (٧) قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى) ﴿ طه : ٦٦-٦٨] . أما خيل لموسى ال أن جبالهم وعصيتهم أفاعي تسعى تخوف ، فتداركه الله وثبته ...

النوع الثاني

• الثاني : سحر حقيقي : هذا السحر موجود ، وله حقيقة ويمكن أن يؤثر فيمن وجه له ، وأن يغير فيه ، وأن يضره بإذن الله . ومن هذا النوع سحر سحرة بابل ، الذي تعلموه من الملوك ، حيث كانوا يضرّون به الآخرين ، ويفرقون به بين المرء وزوجه .

• قال تعالى : « فيتعلمون منهما ما يفرقون به ، بين المرء وزوجه »



السحر يضر بإذن الله

الراجح أن الساحر قد يوقع الضرر في الآخرين ، وأن السحر قد يضر ، وقد يؤدي إلى التفريق بين المرء وزوجه . وهذا ما ورد صريحاً في الآية . قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به . من أحد إلا بإذن الله » .

السحرة كافرون ومجرمون ومخربون ومفسدون ، وهم يقدرّون على التفريق بين المرء وزوجه ، وهذا يدل على أن لسحرهم أحياناً حقيقة وتأثيراً ويؤثر في الزوجين ، ويفرق بينها . وحتى لا يظن ظان أن الساحر قوي ، وقادر على كل شيء ، بينت الآية أن السحرة لا يضرّون أحداً إلا بإذن الله : « وما هم بضارين به . من أحد إلا بإذن الله ؟ . وإذن الله هنا علمه ومشيئته وإرادته ، فالله يشاء الشر ويعلمه ويأذن به ، لكنه لا يرضى عنه ، ويعاقب صاحبه .

هل هناك سحر جلال ؟

إن السحر لم يرد في القرآن إلا في سياق الذم والإنكار ، لكن أخبرنا رسول الله ﷺ عن سحر محمود ، وهو سحر حلال وطيب !

روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال : قدم رجلان من المشرق ، فخطبا ، فعجب الناس لبيانهما . فقال رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحراً » (البخاري: ٥٧٦٧) .

والمراد بالسحر هنا قوة التأثير في المستمعين بكلام فصيح صحيح . فالشعر الحلال المحمود المرغوب هو تعبير قوي ، وبيان رائع ، يؤثر في الآخرين ويجعلهم يؤيدون المتكلم ، ويعجبون به



الحكم الثاني: هل يباح تعلّم السحر وتعليمه؟

• ذهب الجمهور: إلى حرمة تعلم السحر، أو تعليمه، لأن القرآن الكريم قد ذكره في معرض الذم، وبين أنه كفر فكيف يكون حلالاً؟

• كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام عدّه من الكبائر الموبقات كما في الحديث الصحيح وهو قوله صلوات الله عليه: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .



الحكم الثالث: هل يُقتل الساحر؟

قال أبو بكر الجصاص: اتفق
السلف على وجوب قتل
الساحر.



ما ترشد إليه الآيات الكريمة

١. التوراة كتاب الله الذي أنزله على موسى عليه السلام والقرآن مصدق للتوراة.
٢. نبذ اليهود (التوراة) ولم يعملوا بما فيها كما نبذ أخلافهم القرآن الكريم.
٣. اليهود شياطين من شياطين الإنس ، لأنهم كفار ، وكل كافر شيطان .
٤. سليمان عليه السلام كان نبياً ملكاً. ولم يكن ساحراً محترفاً للسحر.
٥. الشياطين زينوا للناس السحر، وأوهموهم أنهم يعلمون الغيب.
٦. السحر له حقيقة وتأثير على النفس، حتى يستطيع الشخص بواسطته أن يفرق بين الرجل وأهله.
٧. الله جل ثناؤه يختبر عباده بما شاء من الأمور ابتلاءً وتمحيصاً.
٨. من تبدل السحر بكتاب الله فليس له في الآخرة نصيب من رحمة الله.
٩. مدار الثواب والجزاء في الآخرة هو الإيمان بالله تعالى وإخلاص العمل له.



حكمة التشريع

- لقد حرص الإسلام في كل تشريعاته على سلامة العقيدة في قلب المسلم. ليكون دائماً وأبداً متصلاً بالله، معتمداً عليه، مقراً له بالربوبية، مستعيناً به على شدائد هذه الحياة، لا يتوجه لغيره في دعاء، ولا يقر لسواه بأي تأثير، أو تحكم في قانون من قوانين الطبيعة التي خلقها الله تعالى، وسيرها بعلمه، وقدرته، وإرادته.
- فالنجوم، والكواكب مسخرات بأمره - كغيرها من خلق الله - تسير وفق الخط المرسوم لها من الأزل، لا تؤثر حركتها على الإنسان الذي خلقه الله تعالى على هذه الأرض وقدر له أرزاقه، وأعمارهم، فلا ينتهي عمر إنسان ما بظهور كوكب، أو اختفائه، ولا يزيد رزق امرئ، ولا ينقص عما قدره الله تعالى له، فكل شأن من شؤون الحياة مدبر بأمر الله.
- فإن زعم إنسان أنه يعلم الغيب باتصاله بالكواكب، وتعظيمه لها. أو اتصاله بالجن والشياطين، ويستطيع بذلك أن يؤثر في قوانين هذه الحياة ويحكم في مسيرتها الطبيعية بما يخرجها عما رسم لها، يكون بذلك قد خالف شرعة الله التي أوضحها في كتابه، وتجاوز الحدود التي وضعت له، وخرج عن قانون الحنيفية السمحة، فلا جرم أن يحكم عليه بالكفر لتعظيمه غير الله، واستعانته بغير الخالق وإثباته التأثير في خلق الله لغير الباري - والأذى بالناس، وقد يصل بذلك إلى التفريق بين المرء وزوجه، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذن الله تعالى.

• وإذا كان السحر كفراً، وخروجاً عن شرعة الإسلام، فلا يمكن أن يوصف أحد من رسل الله تعالى بأنه ساحر، أو أنه كان يحكم بالسحر، ويأتي بالخوارق والمعجزات بهذا الأمر، ولهذا جاء القرآن كتاب الله المبين منزهاً سليمان بن داود عليه السلام عن أن يكون ساحراً، أو حاكماً بالسحر، أو آمراً به، فما زعمته بنو إسرائيل عن النبي الكريم - سليمان عليه السلام - زعم كاذب، وقول باطل، يدل على جهلهم، بل على ضلالهم عن سواء السبيل، وبعدهم عن الصراط المستقيم، فهم لم يعرفوا الله حق معرفته، ولم يعلموا ما يجب في حق الرسل - عليهم السلام - وما يستحيل، فالرسل الكرام منزّهون عن الاستعانة بالشياطين، وإنما كان الجن مسخرين لسليمان عليه السلام بأمر الله تعالى لا بالسحر.

• هذا هو شرع الله المتين، تنزيه^{٢٦} لله عن أن يشركه أحد من خلقه في التأثير، وتنزيه^{٢٦} لرسله الكرام عما يبعدهم عن سواء السبيل، وبيان^{٢٦} للمسلم عما يجب أن يعتقده.



أهمية ضيما المصطلحات



الآيات

• ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
أَنْظُرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١٠٤﴾ [البقرة: ١٠٤]



معاني الكلمات

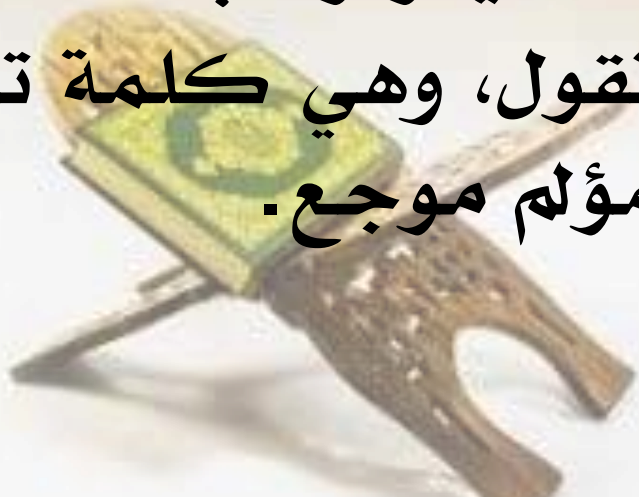
• راعينا: فعل أمر كم المراجعة و الاهتمام والتمهل والتأني.

• انظرنا : فعل أمر من الإنظار، وهو الإمهال والتأخير.



التفسير الإجمالي

• يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلاً لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة: {رَاعِنَا} ؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي - صلى الله عليه وسلم - ، يقصدون بها معنى فاسداً وهو الرعوننة، فمنهى الله عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلاً عنها: {انظُرْنَا} ؛ أي: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، وهي كلمة تؤدي المعنى بلا محذور. وللكافرين بالله عذاب مؤلم موضح.



سبب النزول

قال ابن عباس في رواية عطاء: وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم، أعجبهم ذلك. وكان راعنا في كلام اليهود السب القبيح فقالوا: إنا كنا نسب محمدا سرا، فالآن أعلنوا السب لمحمد لأنه من كلامهم. فكانوا يأتون نبي الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون: يا محمد، راعنا ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار، وهو سعد بن عباد، وكان عارفا بلغة اليهود، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد بيده، لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه. فقالوا: ألسنم تقولونها [له؟]؛ فأنزل الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الآية.



وعن قتادة: (يا أيها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا) قول كانت
تقوله اليهود استهزاء، فزجر الله
المؤمنين أن يقولوا كقولهم.



تحرّيف اليهود الكلام متجذّر فيهم

تحرّيف الكلام متجذر في الشخصية اليهودية، فقد أخذوا كلمة طيبة، وحرفوها وحولوها إلى كلمة خبيثة .

• وقد فصلت هذه الحادثة التي أشارت لها الآية آية من سورة النساء، وهي قوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]

جرمة قول : « رعنا »

نهى الله المسلمين عن قول كلمة : « رعنا » بعد أن حُرف اليهود معناها . والأصل في النهي أن يكون للتحريم ، إلا إذا صرفه عن التحريم دليل . ومعنى هذا أن من يقول : « رعنا » للرسول ﷺ بعد نزول الآية فإنه يكون أنها ، لأنه ارتكب حراماً



التوجيه إلى قول : « أنظرنا »

بعد أن نهى الله المسلمين عن قول : « رعنا » ، وجههم إلى قول : « أنظرنا » .

أي : أن يطلبوا من رسول الله ﷺ أن ينظرهم ويمهلهم، ويتأني عليهم ويرفق بهم، ولا يتعجل عليهم .

والأمر هنا للإياحة والتوجيه؛ لأنه واقع بعد الحظر والنهي .
واللطيف أن الأمر ذكر بعد النهي، وأنه عطف على النهي .
واللطيف أيضاً أنه بعد أن حرم الله على المسلمين قولاً ؛ ذكر لهم البديل المباح وأرشدهم إليه، وهذا من رحمة الله بالمسلمين، ومن يسر الأحكام الشرعية .

من دلالات الآية

• تخبر الآية أن اليهود قالوا للرسول ﷺ « رعنا » من باب اللي بالألسنة والطعن في الدين : « ليا بألسنتهم وطعنا في الدين » ، وتخبر الآية أن الأولي بهم أن يقولوا : « سمعنا وأطعنا واسمع وأنظرنا » .

• وجوب الأدب في الخطاب : كان المسلمون يتأدبون مع الرسول ﷺ وهم يكلمونه ويخاطبونه، وهذا من احترامهم له . فلما أساء اليهود الأدب معه، وجعلوا الكلمة شتما له حرم الله تلك الكلمة على المسلمين ، ليقوا متأدبين معه .



أهمية ضبط المصطلحات

- حرم الله على المسلمين النطق بكلمة معناها طيب عندهم؛ لأن اليهود لوثوها وحولوها إلى سب وشتم، ودل هذا على أن المباح إذا أسيء استعماله، ووظف في الخبث والسوء صار حراماً، وأن حسن النية لا يبرر استعمال الحرام، ولا يبرر للمسلم أن يقول: قصدي من قول كذا شريف ونيتي فيه طيبة؛ لأن هذا القول صار ملوثاً.
- ويدل هذا على أهمية ضبط المصطلحات المستخدمة في الحياة الفكرية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية، فإذا ما كان لمصطلح معين معنى خبيث سئ عند الكفار؛ فإنه لا يجوز للمسلمين استخدامه، ولو كانوا يقصدون منه معنى طيباً.

